لهذا جلوك فوق القبر ساعي

فانتَ هنا تجيب المستجيبا اذا ما جاء يفتقد الضريحا
فيا ربي استمع قلباً جريحا اليك قد ساء جسماً وروحا
لتنفر ما اقترفتهُ من ملام

أأهلَ مودّتي خلّوا شجانا تمالَوا واقصدوا هذا المكانا
وصلّوا للفقيد معي «ابانا» فانَّ يسوع تعزية الحزانى
وحيّوهُ بآيات السلام

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقق انستاس الكرملي البغدادي
(تابع لما سبق)

(كتبهم الدينية)

يدّعي المندائيّة ان لهم كتباً كثيرة مُنزلة تكاد لا تُحصى على ما يقولونهُ غير ان النوائب التي انتابتهم والرزايا التي حلّت بهم وكادت تستأصل شأفتهم لم تُبقِ عندهم الّا غَيْضاً من فَيْض او قيضاً من بَيْض اي ما لا يتجاوز عدُّهُ الاربعين كتاباً. امّا الوقوف على هذه الاسفار فيكاد يكون من رابع المستحيلات فانهم يحرصون عليها ولا حرصهم على حياتهم وعرضهم وقناهم كلها جمعاء. فكم وكم مَن وارتهُ القبور وقُطعت اعضاؤهُ ودُقّت عنقهُ واُحرق بالنار وهلك غرقاً ضنّاً بما في يديه من الكتب الدينية. هذا وتواريخهم في هذا الصدد تسرد وقائع كثيرة تياناً لما ابداهُ المندائيون من الامتناع وشدّة العزيمة ممّا يذهل العقول. وقد جاء هذه البلاد جماعات من الافرنج من ألمان وفرنسيس وايطاليان وانكليز لمشترى بعض هذه الكتب ودفعوا لكتاب واحدٍ خمسة آلاف فرنك ولكتاب آخر الفين فرجعوا بخفّي حنين. ومهما يكن من الامر فان قلّة هذه المخطوطات في خزائن كتب بلاد الفرنجة مع ما يبذل هؤلاء الاقوام من الاصقر الرنّان ويتكلّفون لاستحصالهِ ما يُريهم الموت الاحمر لا بل وما كان منهُ بسائر الألوان يُصدّق كلامنا ولا يعود يطلب

متأ برهاناً آخر يدعم هذا البرهان. على انهُ تعالى قيّض لي ان ارى من هذه الاسفار ما لا أصدّق ان رجلاً آخر رأى بعددها اذ لم اعثر الى الان على كلام يوقفني على مثل ما اقولهُ مع ان اغلب الكتب المؤلفة في الصابئيّة والمطبوعة في بلاد اوربا او المذكورة اسماؤها في برنامجات خزائن الكتب موجودة عندي. على ان المقام لا يحتمل تفصيلاً فوق ما نوردهُ ولذا نأخذ بذكر بعض هذه الاسفار التي يدّعي اصحابها انها منزلة وان لم تكن كذلك

١ً واوّل هذه الكتب (الكنزا ربّا» او «السدرا ربّا» او «سدرا دآدم» ومعناها الخزانة العظمى او الكتاب العظيم او كتاب آدم. وقد يكتفون بقولهم: «السدرا» بوجه الاطلاق. وهو اليوم مطبوع على الحجر وقد نشرهُ الاديب ه. بترمن بنصهِ الصابئ في ليبسك وهو قسمان: قسم يميني وقسم شمالي. فاذا مسكتهُ من القسم اليميني يكون القسم الشمالي مقلوبًا اي اعلاهُ اسفلهُ. وبالعكس. واذا مسكتهُ من القسم الشمالي يغدو القسم الآخر مقلوبًا كما تقدم شرحهُ. اما عهد كتابة اصلهِ فقد تباينت فيهِ الآراء. واشتبكت. وكثرت فيهِ المذاهب واحتدمت. فمنهم مَن قال بانهُ اقدم من النصرانيّة. وهو وهمٌ ظاهر. ومنهم من ذهب الى انهُ من عهد يوحنا الحَصور وهو ايضاً وهم. ومنهم من صرّح بكونهِ من المئين الاولى من النصرانيّة. وهذا يردّهُ ايضاً شواهد كثيرة من الكتاب نفسهِ. ومنهم غير ذلك. هذا واني قد وجدتُ في السفر المذكور نصوصاً كثيرة تؤيد انهُ لم يُكتب قبل سنة ٧٠٨ للمسيح. اما ذكر هذه الادلّة فاملّنا نذكرها في مقالة خصوصيّة نُسميها «بالاداب المندائية اللغويّة» (La littérature mandaïte) هذا واغلب كلام «السدرا» يدور على امور دينيّة منها ترجع الى المعتقد والدين. ومنها ترجع الى القيام بسنن الدين ومنها مخاطبات ألبست لباس النبوّة. غير ان هذا الثوب الذي يبدو ثخيناً في عيون الصابئة هو في عيون المنتقدين الجابذة شفّافاً يشفّ عمّا وراءهُ من الاكاذيب والاقوال المختلقة الموضوعة المنافية للاصول العقليّة وللنقول العلمية

٢ً والكتاب الثاني اسمهُ: «دَرَفْشا دَيهيّي» او «سدرا دَيهيي» اي تعليم يحيى او كتاب يحيى. وهو كتاب احدث من السابق ذكرهُ. وقد أُودع نصائح كثيرة وحكماً

جليلة الّا انها معقودة العُرى بنواصي فِرَق عديدة تذهب بما في هـذا السفر من حلى الآداب وروائع الزواجر

٣ والكتاب الثالث « القلستا » اي كتاب الفرح او الطرب او المديح وهو سِفر خاصّ بسُنن الزواج والاصطباغ الذي يُجري في الزواج. واظنّ ان مـا نشرهُ حضرة الدكتور الفاضل اوتنك (Dr. J. Euting.) ليس من القلستا بشيء. بل قد وهم في ترجمتهِ بهذا العنوان ليس الّا. وقد فسّر المستشرقون لفظة القلستا بغير ما فسّرناهُ اعتمادًا على نصوص اللغة الارميّة واصولها لكن هذا مردود عند الصابئة

٤ والكتاب الرابع « سِدْرا دْنِشمانا » اي كتاب النفوس وهو يحوي السنن التي يقوم بهـا المندائيّة في الاصطباغ الجاري في ايّام الآحاد والاعياد وصلاة التزاع وخروج النفس من الجسد ثمّ خروجها من « اردا دْتِيقل » اي الارض الى « آلما دْنهورا » اي عالم النور وفيهِ غير ذلك من الصلوات

٥ والكتاب الخامس: « الدْيوان » بنونين. والبعض يسمّيهِ: « الديوان » وهذه اللفظة معنى تلك. وهو سِفرٌ يُذكر فيهِ قصص بعض الروحانيين مع صورهم وهو عندهم من انفس الكتب المنزلة ولا يكاد يُفتح لاحدٍ واليوم لا يوجد منهُ الّا نسخة واحدة. ونَدْر هـذا الكتاب حادثٌ من صعوبة رسم الصور والتماثيل التي فيهِ اذ يُطلب لها مهارة دقيقة

٦ والكتاب السادس: « ترسَر ألفي شيالا » اي اثنا عشر الف سؤال ويراد بذلك الاسئلة التي ألقاها بعض الروحانيين على « مَلكا دَنهورا » قبل خلق العالم وبعدهُ في ما يخصّ الامور الدينية وفرائض الاساقفة والكهنة والشمامسة والمؤمنين الى غير ذلك من الفوائد المهمّة. ويوجد من هذا الكتاب نسخة ناقصة في باريس في المكتبة الوطنية

٧ والكتاب السابع: « أسفر مَلوا شي » والعامة من المندائيّة تُسميهِ: « أصفَر مَلوا شا » ومعناهُ سِفر البروج وقد توسّعوا بلفظة « مَلوا شا » حتى اطلقوها على وقت عَلَق المرأة بالولد وتعلّق هذا الوقت بالبروج. وهو كتاب يستشيرونهُ في تسمية الوليد حينما يذكر ابوهُ او القيم بامرهِ للكاهن الساعة التي وُلد بها الطفل واليوم والشهر فحينئذٍ يبحث الكاهن في هذا السفر عن الساعة التي حُبلت بهِ أمهُ. وبالتالي عن الاسم اللائق

به. وفي هـذا الكتاب امور كثيرة ترجع الى علم الفلك والى علم التنجيم وفيه ايضاً صلوات كثيرة ورُقى عديدة تُتلى لكي تكون التمائم فعّالة في مَن تُكتب لاجله من طرد الامراض والاوصاب و إبعاد النوائب والنوازل وهو قديم الوضع والتأليف واغلب رُقاهُ تشبه الرُقى التي كان يستعملها قدماء الكلدان. وقد عرف هذا الكتاب ابرهيم الحاقلاني اذ قال عنهُ في كتابهِ الموسوم De origine nom. papæ, etc. : *pars altera*, Romæ, 1660 p. 355 ما معرّبهُ: «أسفر ملوا شي مجموعة في علم التنجيم وقد قُسمت فيه الكرة الزرقاء الى ٢٤ جزءاً متساوياً اثنا عشر منها ذكور واثنا عشر منها اناث. ويُتخذ للنظر في ايام ولادة الولدان» اه

٨ والكتاب الثامن «كَداوا كَدَفْياتا» اي كتاب العوذ. وفيه انواع العُوَذ تُقرأ او تُكتب بموجب ظروف الزمان وأحوال اهل البيت وهو غريب في بابهِ لما يذكر فيه من انواع الروحانيين والجنّ والارواح النجسة الشريرة

٩ والكتاب التاسع: «الإنياني» اي الاناشيد او الاغاني. ويُراد بذلك الصلوات الدينيّة التي تُتلى في اربعة أوقات النهار وفي الليل وكذلك صلوات خصوصيّة باليوم الفلاني من كل اسبوع. وفيه ذكر السنن المتّبعة في دفن موتى المندائية الى غير ذلك من الفوائد الجليلة عندهم وهو كتاب يضنّون بهِ كل الضنّ

١٠ والكتاب العاشر: «قاها دْهيقل زيوا» اي عوذة هيكل زيوا وهو عبارة عن دَرْج كبير فيه اكثر من الف ومائتي سطر وهي عبارة عن تعزيمات شتى يحملها متديّنو الصابئة ويزعمون ان من يلبس هـذا الحجاب لا يؤثر فيه سلاح نار او سلاح بتّار. وهذا الدرج لا يُكتب لاحد ما لم يكن المندائي المُستكتب قد اظهر علامات الصلاح والتقى بما لا مزيد عليه. وفي آخر الدَرْج الاصلي الذي يُنسخ عليه والمحفوظ عند اسقفهم قرأت هذه العبارة: «إزْدَهر إزدهر إزدهر لكلّ أُنش لا تَكْدف» ومعناها: «تحفَّظ ثم تحفَّظ ثم اقول لك تحفَّظ من ان تكتب (القاها) لكلّ من كان او لكلّ احد». وهم يحرصون عليها كل الحرص حتى انهُ لا يجوز لهم ان يدّعوا من لم يكن من دينهم ان «يمسّ» هذا الدرج خوفاً من ان يتنجّس او يفقد مفاعيلهُ. واذا فُقد منهم فكلّ ما يبذلونهُ من البيضاء والصفراء في جانب استحصالهِ لا يُعدّ شيئاً مذكوراً

وهناك كتب كثيرة لا يُمكن ايراد اسمائها في هذه المقالة اللهم الّا ان يُرصد لها فيما بعد مخصوصة تتمة للفائدة (ستأتي البقيّة)

منافع السكّة البغداديّة

نظرٌ تجاريّ اقتصادي للاب ه. لامنس اليسوعي

اننا في مجلتنا الماضية قد ذكرنا كثيرًا من الفوائد الناجمة عن خط بغداد ولكن اهميّة الموضوع تقضي علينا بالعود الى الكلام عنهُ باكثر إسهاب وسنذكر بالترتيب الفوائد الاقتصاديّة والعسكريّة والإداريّة والعلميّة المنوطة بهذا المشروع

*

اذا بحثنا اولًا في الفوائد الجمّة التي تنالها التجارة من انجاز هذا الخطّ الجزيل الاهميّة رأينا ان الامكنة والمدن التي تمرُّ فيها سكّة بغداد تستفيد فائدة كبرى لانهُ يسير نقل وارداتها وصادراتها بارفر سرعة واكثر امن. ومعلوم ان اكبر آفة للزراعة في ولايات الاناضول وسوريّة وما بين النهرين الداخليّة هي خلوُّها من طرق المواصلات السهلة للنقل من ولاية الى اخرى. وقد يتفق بعض الاحيان ان تكون نفقات نقل الحاصيل ضعف قيمتها الحقيقيّة فيضطرّ التاجر الى بيع حاصلاتهِ في اماكنها باثمن الاثمان فرارًا من مصاريف نقل السلع او شحنها وربّما حملهُ اليأس على تركها في محلّها فريسةً للتعفُّن والفساد

واما الآن فلا يكون الامر كذلك لان الاراضي الزراعيّة ومآخذ المعادن تقترب من المدن الكبرى القائمة على طول الخط وتدنو ايضًا من البحر والمرافئ ولا يخفى على البصير ما في ذلك من تحسين قيمة الحاصيل فضلًا عن سلامتها من العطب والفساد اللذين تكون معرَّضة لهما ان أُرسلت مع القوافل في سفر بعيد

ثمَّ ان خط بغداد هذا الكبير سيضحي متمّمًا طبيعيًّا على نوع ما لاكثر الخطوط الثانويّة المنشأة في الممالك المحروسة الاسيويّة التي نجتزئ من ذكرها كلها بذكر الخطّين